بحث عن المسجد ورسالته في جمع كلمة المسلمين وتقوية أواصر أخوتهم وتعاونهم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله. أرسله بين يدي الساعة بشيرا ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً، فهدى به من الضلالة، وبصّر به من العمى، وأرشد به من الغي، وفتح به أعيناً عمياً، وآذانا صما، وقلوبا غلفا، حيث بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وعبد الله حق عبادته.

كانت قرة عينه في الصلاة، وراحته بها، خير من أحب في الله وآخى فيه، وأعان على البر وتعاون عليه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين أفضل ما جزى نبياً عن أمته. وبعد:

فهذه نبذة يسيرة عن المسجد ورسالته في جمع كلمة المسلمين وتقوية

أواصر أخوتهم[1]، قمت بجمعها مقتصرا على رسالة المسجد في هذه الناحية فقط توخيا للاختصار؛ إلا أنني ضمنتها كلاماً وجيزا عن التعريف بالمسجد، والهدف من بنائه، وأهميته في الإسلام، وكيف يعمر، وأثر الجمعة والجماعة، وجزء من آدابه، حيث لهذه الأشياء مساس بالموضوع.

والله أسأله الإعانة والتوفيق لنا ولجميع المسلمين للعمل بما يرضيه، إنه جواد كريم.



المراد بالمسجد:

المسجد لفظة مأخوذة من الفعل سجد، ومعناها يدل على الخضوع والتذلل، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [الرعد: ١٥]. كما يستعمل السجود أيضاً بمعنى التحية، ومنه قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ [يوسف: ١٠٠]، ثم أخذ السجود معنى شرعياً وهو (الهيئة المعروفة في الصلاة من وضع الجبهة على الأرض).

فالمسجد موضع السجود والعبادة لله، وهو المكان الذي تؤدى فيه الصلاة له سبحانه جمعة وجماعة.

---

(١) اقتصرت في جمعها وكتابتها على رسالة المسجد في هذه الناحية فقط.

وقد وردت كلمة المسجد في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف للدلالة على مكان العبادة، قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴾ [الكهف: ٢١].

وقال عليه الصلاة والسلام: «لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

الهدف من بناء المساجد:

إن الهدف الأسمى من بناء المساجد في الإسلام هو تأدية العبادة لله وحده، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾ [الجن: ١٨].

وليس بنيانها لهياكلها ومظاهرها، أو أن تكون مآثر وشواهد حضارة فن معماري، أو طراز هندسي، إنما هي لما وضعت له؛ وهي إقامة الصلوات بها خمسا في اليوم الواحد جماعة، يلتقي فيها المؤمنون بالله بالجسد والروح نحو هدف واحد، ومعتقد واحد؛ عبادةٍ للرب سبحانه وتعالى وتجردٍ عما سواه، وتذكيرٍ لنهج الإسلام وأخلاق المسلم، يغشونها تاركين أحوال دنياهم بعد نداء الحق، ودعوة مؤذن الفلاح لأمور الصلاح والإصلاح؛ ليستشعروا باجتماعهم هذا في بيت الله قربهم منه عز وجل، وصلتهم به سبحانه، لا وسيط ولا رقيب، خاضعين مستجدين، لائذين برب العباد، وله راجين رحمته ورضوانه وعونه وتوفيقه، فتذهب من نفوسهم هموم كثيرة، وتغتسل

أفئدتهم بطهارة الإيمان، تتمثل في كل منهم عزيمة المؤمن القوي، الصابر المكافح، المجد المجتهد لخير الأعمال وأفضلها، والمنتج لأصلح الثمرات في دنياه وآخرته.

أهمية المسجد في الإسلام:

وإن من أهم الدلالات على عظم رسالة المسجد هو أن طبيب الأمة نبينا محمداً ﷺ عرف قيمة المسجد وأهميته في الحياة، فكان أول مشروع فكر فيه في مدة إقامته القليلة في بني سالم بن عوف وهو في طريقة هجرته إلى المدينة أن بنى (مسجد قباء) وهو الذي أنزل الله فيه قوله تعالى: ﴿ **لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ** ﴾ [التوبة: ١٠٨].

وحينما وصل ﷺ إلى المدينة في هجرته من مكة كان أول عمل قام به هو تأسيسه مسجده الذي كان يعمل فيه بيده ويحمل أحجاره بنفسه، والذي صار مقراً للعبادة والشورى وثكنة عسكرية، ومقراً قيادياً، ومنتدى اجتماع للتداول في شؤون الدين والدنيا لاجتماع المسلمين فيه خمس مرات لتأدية الصلاة المفروضة، ومدرسة يتدارسون فيها أمور دينهم؛ تلك المدرسة التي فتحت أبوابها لمختلفي الأجناس من عرب وعجم، ومختلفي الألوان من بيض وسود، ومختلفي الطبقات من أغنياء وفقراء، ومختلفي الأسنان من شيوخ وشباب وغلمان، وفسحت صدرها للمرأة تحضر الجماعة، وتشهد

دروس العلم، مدرسة تلقن العلم والعمل، وتعنى بالتربية قبل التعليم، وبالتطبيق قبل النظريات، وتهذيب النفوس قبل حشو الرؤوس.

فلا غرو أن تخرج من الخلفاء أمثال أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ومن القواد أمثال أبي عبيدة، وخالد، وعمرو بن العاص، ومن القراء أمثال ابن مسعود وأبي بن كعب. ومن العلماء أمثال ابن عباس، وزيد ابن ثابت، ومن فضليات النساء أمثال عائشة، وفاطمة، وحفصة، وأم عمارة، وأم سليم.

كان مسجد رسول الله ﷺ مدرسة الدعوة، وكان كذلك دار الدولة، فيه يهيئ النبي ﷺ العمل للعاطل، والعلم للجاهل، والمعونة للفقير، ويرشد إلى الأمور الصحية والاجتماعية، ويذيع الأنباء التي تهم الأمة من المسجد، ومنه يبعث الدعاة والمندوبين في السلم، ويرتب جنود المعارك في الحرب.

كيف تعمر المساجد؟:

وقد جعل الله عمارة المساجد من علامات الإيمان، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان»، وتلا قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ** ﴾

[التوبة: ١٨]. رواه أحمد والترمذي.

وتعمر بروادها من المصلين خمس مرات كل يوم لأداء الفرائض وإقامة الصلوات الخمس وعبادته وحده.

وعلاوة على ذلك فهي مكان للوعظ والإرشاد، والتذكير والتثقيف، وتهذيب النفوس وتطهيرها، ومحلا للتقاضي والإفتاء. وكثيرا ما كانت تلحق بالمسجد مكتبة تحوي الكثير من الكتب الدينية الإسلامية والعلمية.

وبما أن عمارة المساجد المذكورة في الآية السابقة تعني عبادة الله مطلقا ولزومه، والإقامة فيه لخدمته، فهي أيضاً تعني بنيانه وترميمه، ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام: «من بنى لله مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة». رواه البخاري.

ولقد رغب رسول الله ﷺ في ارتياد المساجد فقال: «إذا توضأ الرجل فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه؛ اللهم صل عليه، اللهم ارحمه. ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة». رواه البخاري.

والإسلام حريص على أن تكون المساجد لعبادة الله وحده، مجردة من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، وألا يخالط عبادة الله فيها أي مؤثر.

قال عليه الصلاة والسلام: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك». أخرجه مسلم.

وقال أيضاً: «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، واشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

والمساجد رمز الدين الإسلامي، فلا يكاد الإسلام يدخل بلداً من البلدان إلا وجد فيه المسجد، بفضل الله. وكلما ازداد عدد المسلمين ازدادت المساجد.

آداب المسجد:

وللمسجد حرمة خاصة يجب على المسلم مراعاتها، وله آداب عليه أن يلتزم بها، وألا يفرط فيها؛ حتى تتحقق الرسالة التي أرادها الله منه؛ لهذا أمر الإسلام داخل المسجد بما يلي:

١ – أن يتزين بالوضوء والطهارة واللباس عند دخوله ليقف أمام ربه متطهرا خاشعا متذللا. قال تعالى: ﴿ **قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ** ﴾ [الأعراف: ٢٩].

وقال: ﴿ **يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ** ﴾ [الأعراف: ٣١].

٢ – تطهير المسجد من الأقذار، قال تعالى مخاطبا إبراهيم وإسماعيل:

﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]. فهذه الآية حثت على طهارة المسجد الحرام، ويقاس عليه كل مسجد من مساجد الله.

وقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب». رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

٣ – صيانته من الروائح الكريهة. ولما كانت الروائح الكريهة المنبعثة من الفم تؤذي المصلين وتحول بينهم وبين الاسترسال في جلال العبادة؛ لذا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل الثوم والبصل أن يقرب المسجد وقال: «إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم». ويلحق بها كل ما له رائحة كريهة.

٤ – النهي عن نشدان الضالة، والبيع والشراء في المسجد؛ حيث هذه الأمور مما تصرف عن العبادة، وعن الغاية المتوخاة من المسجد. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد فليقل: لا ردها الله عليك، فإن المسجد لم يبن لهذا». رواه مسلم.

وقال: «من رأيتم يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا: لا أربح الله تجارتك». رواه الترمذي والنسائي.

٥ – ومن ذلك عدم رفع الصوت في المساجد مراعاة لشعور المصلين ولعدم التشويش عليهم.

٦ – ومن ذلك عدم الخروج بعد النداء للصلاة.

٧ – ومن ذلك عدم تشبيك الأصابع حال المكث في المسجد لانتظار الصلاة.

كما أن للمسجد مستحبات كثيرة منها:

١ – الدعاء عند دخوله لقوله ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك»، وإذا خرج فليقل: «اللهم إني أسألك من فضلك». رواه النسائي.

٢ – صلاة ركعتين في غير أوقات النهي لأمر رسول الله ﷺ بذلك في قوله: «إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس». رواه البخاري.



أثر المسجد ورسالته في جميع الكلمة وتقوية أواصر الأخوة

ليست الغاية من المسجد أن تؤدى فيه الصلاة فقط، بل يهدف إلى النهوض بمستوى المسلمين علميا وخلقيا بما يقدم فيه من دروس ومواعظ على لسان فقهاء المسلمين وعلمائهم السائرين على هدى نبيهم محمد صلوات الله وسلامه عليه.

فلقد كان رسول الله ﷺ وخلفاؤه يجعلون من المسجد مؤتمراً يجمعون فيه المسلمين ليشاوروهم في أمور دينهم وما يصلحهم في شؤون دنياهم.

فينبغي أن يكون المسجد دائما مقراً لمؤتمرات دينية صغيرة لأهل الحي أو القرية أو البلد، يجتمعون فيه للعبادة، ويتشاورون، ويتباحثون فيما يعود عليهم بالنفع.

كما أن المسجد – أيضاً – وسيلة للتقريب بين طبقات الأمة غنيها وفقيرها، رئيسها ومرؤوسيها، ففيها يجتمعون للصلاة جنبا إلى جنب، ويقفون موقفاً واحداً جميعاً، ساجدين لله، فليس لرأس على رأس ارتفاع، ولا لوجه على وجه تمييز، يدعون الله أن يرشدهم ويهديهم إلى طريق الحق والسعادة، وأن يرعاهم برحمته ويشملهم برضوانه، يسمعون إمامهم وهو يقرأ القرآن الذي يحض على الإحسان، فيكون في ذلك إيحاء قوي للأغنياء بأن يعطفوا على إخوانهم المسلمين الفقراء فيحسنوا إليهم، وبذلك الإحسان تصفو قلوب الفقراء من الغل والحسد والبغض للأغنياء، فتتآلف بذلك طوائف المؤمنين تحت شعار الإيمان، ويكون بذلك مدعاة إلى وحدة الأمة وقوتها.

فالغاية القصوى للمسجد هي تقوى الله سبحانه وتعالى ووحدة الأمة، فإذا حيد بالمسجد عن هذه الغاية خرج من معناه الذي أنشئ من أجله.

وقد تحدث القرآن الكريم عن قوم من المنافقين بنوا مسجداً لإيقاع الضرر بين المؤمنين، والتفريق بينهم، وإشاعة الكفر، فأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم

بألا يصلي أبدا بهذا المسجد بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ ﴾ [التوبة: ١٠٧ – ١٠٨] الآية.

وبعد أن ذم الله سبحانه هذا المسجد مدح مسجدا آخر هو مسجد قباء أو مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة، فقال تعالى: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٨].

والمعنى أنه قصد ببنائه منذ وضع أساسه في أول يوم تقوى الله عز وجل بإخلاص العبادة له، وجمع المؤمنين فيه على ما يرضيه من التعارف والتعاون على البر والتقوى؛ هو أحق من غيره بأن تقوم فيه – أيها الرسول – مصليا بالمؤمنين.

فغاية المسجد طهارة النفس من الآثام والمعاصي، والعداوة والحسد؛ إذ يجتمع فيه المسلمون خمس مرات في كل يوم وليلة على سلامة الصدر، وبراءة القلب، وهو الجامعة الأولى للمسلمين التي ألفت القلوب، وجمعت الشمل، ووحدت الكلمة، وربطت الغني بالفقير، والقوي بالضعيف، فلا يقدم أحد على أحد، ولا يستأثر مسلم على آخر بمكان أو نظام يخصه؛ إذ

هو ميدان العاملين من عباد الله الصالحين على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].

ففيه يجتمع المسلمون لتأدية ما أوجب الله عليهم بقلوب ملؤها المحبة والإخلاص له سبحانه وتعالى، فيحصل بينهم التعارف والتواصل، والتواد والتعاطف والتراحم، والتعاون على البر والتقوى، ويسود الوقار والمحبة بين الصغير والكبير، والتواصل بالحق والصبر عليه، ومعرفة المتخلف والسؤال عن حاله وعيادته إن كان مريضاً، وتعليم الجاهل التعليم الفعلي للصلاة، وإغاظة أهل الكفر والنفاق، والبعد عن سبيلهم، وإظهار شعائر الله من عبادة، والدعوة إليه سبحانه بالقول والعمل، وتقوية أواصر الأخوة بينهم، وتدارس أحوالهم فيما بينهم؛ قال تعالى: ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ ﴾ [التوبة: ١١] أي بدخولهم في جماعة المسلمين الذي لا يتحقق بعد الشهادتين إلا بإقامة هذين الركنين؛ كما نصت عليه هذه الآية.

وفي المسجد تختفي فوارق المكانة، والثروة، والجنس واللون، ويعم أرجاءه جو قشيب من الإخاء والمساواة والمحبة.

وفي المسجد يتلقى المؤمنون تعاليم الدين الحنيف، ففيه يقوى الإيمان ويشتد، وذلك بما يسمعه المصلي فيه من وعظ وتوجيه وإرشاد.



أثر صلاة الجماعة وصلاة الجمعة في جمع الكلمة وتقوية أواصر الأخوة والتعاون:

الصلاة في المسجد وسيلة لتعارف المؤمنين، وإزالة الحقد والغل من قلوبهم، وهدم الفوارق الاجتماعية فيما بينهم، وتبادل المنافع فيما يعود عليهم بالخير. فالمسلمون يقفون جميعا في الصلاة جنباً إلى جنب متلاصقين؛ رئيس الدولة يقف إلى جانب أي فرد من أفراد الشعب، والغني يقف ملاصقا للفقير، وأبيض البشرة إلى جانب أسودها. هدفهم واحد، يتقربون إلى الله لا بأموالهم وجاههم، وإنما بطاعة ربهم. كلهم يخاطبون ربهم، ويعترفون له بالعبودية، ويطلبون منه الهداية بعضهم لبعض قائلين: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]. إن الدعوة إلى المساواة والإخاء البشري لا تخرج عن كونها نظريات إذا لم تطبق عمليا في حياة المرء وتفكيره.

وها نحن نرى بعض الأمم التي تدعي أنها في مقدمة الشعوب مدنية وحضارة، وتدعي الحرية والمساواة والعدل؛ نرى أبرز ما يشغلها التمييز العنصري الذي يهدد كيانها، ويهددها بأخطر العواقب التي تودي بحضارتها. ولقد كان الدين الإسلامي موفقا في جعله الصلاة جماعة في المسجد، والتي كانت ولا تزال من أهم الوسائل لتحطيم الفوارق الاجتماعية، والتعصب للجنس أو اللون، فوحدت بين المسلمين من كافة الأجناس والألوان،

ونفخت فيهم روح الإخاء والمساواة، فهي في وقارها وبساطتها أفضل العبادات وأعمها نفعا؛ إذ يقف المصلون معتدلي القامة في صفوف يسودها النظام في المسجد، يتبعون زعامة إمامهم بكل دقة واحترام، بمنظر بالغ الأثر في النفس، يبعث فيها الشعور بالمساواة الاجتماعية، والإدراك لفكرة المصالح المشتركة، وتساعد على تقوية الأخوة في مجتمع المؤمنين، وفيها تدريب عملي على الضبط والربط والنظام.

وأداء الصلاة جماعة في المسجد، والمظهر الذي يعطيه تنظيم الصفوف، والمساواة التي يحققها بين مختلف طبقات المسلمين، لا فارق بينهم، الجميع سواء أمام الكبير المتعالي؛ يبين لنا الأثر الكبير والفائدة العظيمة التي تمتاز بها هذه العبادة الجليلة. فلقد أدى المسجد في الإسلام دوراً كبيراً في التوجيه والدعوة، وإصلاح العباد وتربيتهم، وتقوية الشعور الديني، وتدريب المصلين على الأعمال الجماعية التي يدعو إليها الإسلام، والحفاظ على الوحدة الإسلامية حقيقة ومظهراً.

وإذا تأملنا صلاة الجمعة وأثر التجمع فيها في الفرد والجماعة أدركنا سبق الإسلام ودقة ملاحظاته.

فهذا التجمع في المسجد لصلاة الجمعة يعتبر وسيلة من وسائل التغيير، وتحول الفرد وهو في جماعة أيسر من تحوله وهو على انفراد، فهو يشعر

بالعمومية، وينسى أنه وحده، ويتذكر أنه عضو مهم يحاسب على تخلفه، ويناط به بعد الصلاة تمثيل قيم الجماعة التي هي جزء من المشكلة الكبرى والخاصة بالأساس الفردي للتغير الجماعي فلم تتغير أو تتحول أية جماعة إلا بعد صلاحية أفرادها لهذا التحول وذلك التغير.

وفي صلاة الجمعة يجتمع أهل البلدة أو أهل الحي بالنسبة للمدن الكبيرة لتدارس أمورهم، وليرى بعضهم بعضاً، ولذلك عظم رسول الله ﷺ من شأنها، وتوعد تاركها بقوله: «من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه»، وقوله: «لينتهين قوم عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين»، وذلك لما فيه من الحكم العظيمة، والفوائد الجمة التي لا يتسع المقام لذكرها، والتي أشرت إلى أهمها في أثر صلاة الجماعة في المسجد؛ إلا أنها تكون على نطاق أوسع حيث تضم أهل البلدة أو الأحياء بالنسبة للمدينة الكبيرة.

وما فرضت صلاة الجمعة والجماعة إلا ليشعر المسلم أنه واحد من كل، وعضو في جماعة يجب أن يهتم بشؤونها ويرعاها. فالإسلام يطلب من المسلم ألا يعيش لنفسه فقط؛ مبتعداً منعزلاً، وإنما يطلب منه حتى في صلاته أن يعيش بجانب إخوانه، يتعاون معهم ويتعاونون معه.

إن هذا الاجتماع الأخوي لكل أهل حي، المتكرر في اليوم، المقتضي

للألفة والتعاون والنصرة، يعرف المتخلف و سبب تخلفه، فإن كان لعارض حضر في الوقت الآخر، وإن استمر بحث عن السبب، فإن كان كسلا وتهاونا فلا يترك فريسة للشيطان يستحوذ عليه وينفرد به، بل يعالج أمره بحكمة ولين، وإن كان لمرض أقعده سعي له في العلاج بما يناسب حاله، وإن كان الفقر جمع له ما يعينه ونظر فيما يستطيعه من عمل، وبذلت الأسباب لتشغيله، وإن هذه المعاني لا تتحقق إلا إذا أديت الصلاة في المسجد جماعة.

الخلاصة:

والخلاصة أن رسالة المسجد تستمد جوهرها من رسالة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام. فرسالته ﷺ كانت رسالة عامة وشاملة، تهدف إلى إصلاح العبد فيما بينه وبين ربه، وإصلاحه فيما بينه وبين نفسه، كما تهدف إلى إصلاح كل طبقات المجتمع والرفع من شأنها، والدفع بها في ميدان العمل الصالح ليصبح المجتمع الإسلامي مجتمعا مثالياً؛ حتى يتحقق فيه وينطبق عليه ما أراده الله لهذه الأمة من أن تكون خير أمة أخرجت للناس ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [آل عمران: ١١٠].

في داخل المسجد يتربى المسلم على تطهير نفسه، وتصحيح عقيدته، والقرب من ربه ومراقبته في سره وعلانيته.

وفي داخل المسجد وبين صفوفه يتربى المؤمن على الاتصال بإخوانه

المؤمنين، وتقوية صفوفهم، والشعور بآلامهم، والاهتمام بجميع شؤونهم.

وفي داخل المسجد يشعر المؤمن بقوته جانب إخوانه، ويحس بالرسالة التي طوق بأدائها من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله بالحسنى والحكمة.

وفي داخل المسجد تتربى روح الأخوة والألفة والمحبة بين المؤمنين فيعيشون عالمهم المثالي الخالي من التنافسات والتطاحنات، وحروب الطبقات.

وفي المسجد يشعر المؤمن بكرامته التي كرمه الله بها، وأنه متساو في الحقوق والواجبات مع جميع الذين يجلسون بجانبه سواء كانوا حكاما أم محكومين، أغنياء أم فقراء، جهالاً أم علماء، فهو واحد من كل، ولا ميزة لأي واحد إلا بالتقوى.

وفي المسجد يجتمع المسلمون للتداول في شؤونهم، والنهوض بحياتهم سواسية كأسنان المشط، يستمعون إلى التوجيهات والتخطيطات التي يخططونها للذود عن حوضهم، وصيانة عقيدتهم، والحفاظ على مقدساتهم.

ومن المسجد تنطلق الدعوة إلى الله صارخة هادفة موضحة مبينة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤] الآية، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الحج: ٧٧ – ٧٨]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة: ٩ – ١٠].

وإن ما ذكرته عن رسالة المسجد (في جمع كلمة المسلمين وتقوية أواصر أخوتهم وتعاونهم) لقليل من كثير، يضيق المقام عن ذكره، إضافة إلى رسالته في النواحي الأخرى المتعددة في جميع جوانب الحياة، والتي لم أتعرض لشيء منها في هذا البحث المختصر.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

